الفصل التاسع

الوسائل اللازمة لتحقيق نهضة علمية وتقنية فى العالم الإسلامى المعاصر

تتعدد الوسائل التى يجب الأخذ بها من أجل نهضة العالم الإسلامى المعاصر علميًّا وتقنيًّا ولحاقه بالركب، ويمكن تلخيص هذه الوسائل فى النقاط التالية:

أولا - الوسائل المادية:

(أ) المبادرة بالعمل على محو الأمية بين المسلمين فى خطة محددة الأجل لأن الأمة الجاهلة لا يمكن أن يتحقق بها أى تقدم.

(ب) البدء فى إعادة بناء النظم التعليمية على أسس إسلامية صحيحة وموائمة لاحتياجات مجتمعاتنا.

(جـ) إعادة النظر فى مهمة الجامعات والمعاهد العليا فى العالم الإسلامى، والعمل على تطويرها كمًّا وكيفًا، وربط ذلك بمتطلبات التنمية الشاملة.

(د) دعوة الدول الإسلامية إلى أن يكون لكل منها أجهزة لتنظيم البحث العلمى وتخطيط برامجه، تلتقى فى أجهزة إقليمية وتنتهى إلى جهاز إسلامى عالمى واحد من مثل المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم. أو المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية، وكلاهما تابع لمنظمة المؤتمر الإسلامى، أو المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وهى تابعة لجامعة الدول العربية، أو الأكاديمية الإسلامية للعلوم وهى منظمة مستقلة.

(هـ) العمل على إنشاء سلسلة من المؤسسات الإسلامية للعلوم والتقنية المحلية والإقليمية والدولية يكون من بين مهامها:

(١) الحصر الدقيق للكفاءات المسلمة فى مختلف مجالات العلوم والتقنية.

(٢) ربط المسلمين المشتغلين بالعلوم والتقنية فى مختلف أنحاء العالم فى اتحاد عالمى للعلماء والمهندسين المسلمين يضم عدداً من الجمعيات المتخصصة على مستوى العالم، والتى تضم بدورها الجمعيات المحلية والأفراد المنتمين إليها بحيث يصبح كل متخصص من المسلمين عضواً فى جمعية متخصصة إسلامية محلية، وجمعية إقليمية وجمعية ثالثة عالمية فى تخصصه، وعضواً فى الاتحاد العالمى للعلماء والمهندسين المسلمين.

(٣) وضع سياسة علمية وتقنية دقيقة ومستقرة وبعيدة المدى للعالم الإسلامى، والعمل على تنفيذها، وتكون هذه السياسة قائمة على المسح الشامل لكافة إمكانات العالم الإسلامى البشرية والمادية، ولاحتياجاته الآنية والمستقبلية، وتكون فى نفس الوقت قادرة على وضع سلّم للأوليات فى حدود زمنية ملزمة، وفى إطار القدرات المتاحة، وقادرة على تأسيس قواعد علمية وتقنية وإدارية متطورة، وعلى استيعاب المتغيرات الاجتماعية المصاحبة لكل ذلك، وعلى الخروج بحلول واقعية للتعجيل بالنهضة العلمية والتقنية الإسلامية من خلال الاستثمار الأمثل لكل الطاقات والقوى والمصادر المتاحة، وذلك فى محاولة لتجاوز الفوارق الهائلة التى تحول بيننا وبين الوصول إلى المستوى العلمى والتقنى للدول الناهضة بهما.

(٤) التنسيق بين مختلف المؤسسات العلمية والتقنية فى العالم الإسلامى المعاصر على أن يتم ذلك فى إطار من التكامل وعدم الازدواجية ما أمكن، ويستحسن أن يكون عن طريق أجهزة إقليمية لتنظيم البحث العلمى وتخطيط برامجه، تنتهى إلى جهاز عالمى واحد.

(٥) مراجعة خطط البحوث العلمية والتقنية فى العالم الإسلامى المعاصر ووضع الأولويات لها بما يتفق واحتياجات المجتمعات المسلمة وروح رسالتها الإنسانية العالمية، والتخطيط لبرامج بحوث مشتركة بين الهيئات العلمية الإسلامية.

(٦) تشجيع البحث العلمى والتقنى بين المسلمين وذلك بعقد المؤتمرات والندوات المتخصصة، ونشر الدوريات العامة والمتعمقة، والتشجيع على التأليف والترجمة والنشر، وتخصيص المنح والجوائز والمكافآت، وغيرها من الحوافز، والتشجيع على تبادل الزيارات والخبرات والمعلومات.

(٧) مناقشة مشكلات العالم الإسلامى، والعمل على إيجاد الحلول المناسبة لها، وفى مقدمتها بحث أسباب التخلف الصناعى والزراعى والاقتصادى والإدارى والسياسى، وإهمال العديد من الثروات الطبيعية، والصناعات التحويلية والعسكرية الهامة، وهجرة المتخصصين والفنيين المسلمين إلى خارج العالم الإسلامى، والعمل على وقفها، واستعادة من له رغبة فى العودة ممن هاجروا، والتخطيط لتكامل اقتصادى صحيح بين كافة الدول الإسلامية، والعمل على ترشيد التجارة البينية للدول المسلمة.

(٨) إنشاء مراكز للبحوث العلمية والتقنية المتخصصة، ومراصد فلكية وأرضية ومؤسسات للطاقة فى دول العالم الإسلامى فى غير تكرار أو ازدواجية عشوائية، ويكون من مهام هذه المراكز استقطاب الطاقات المسلمة المحلية والمنتشرة فى العالم على أساس من كفاءاتها العلمية، والتزامها بالإسلام، دون أن يكون لانتماءاتهم العرقية أو صلاتهم الشخصية دخل فى الاختيار.

(٩) العمل على إعادة كتابة العلوم البحتة والتطبيقية من منطلق إسلامى صحيح عن الإنسان والكون والحياة وعلاقة ذلك بالخالق العظيم أو ما يعرف اليوم باسم «التأصيل الإسلامى للمعرفة».

(١٠) وضع البرامج الزمنية المحددة لترجمة أمهات الكتب العلمية والتقنية المختلفة إلى اللغة العربية وغيرها من اللغات الرئيسة فى العالم الإسلامى، مع التعليق على ما قد يرد فيها من أخطاء تتعارض مع قضية الإيمان، وذلك كمقدمة لاتخاذ القرار الضرورى بجعل التعليم والبحث والنشر العلمى باللغة العربية أو باللغات المحلية فى غير العالم العربى، انطلاقًا من أن تأصيل العلم والتفكير العلمى لدى أية أمة يتطلب استعمال لغتها قبل أية لغة أخرى.

(١١) العمل على إصدار مؤلفات ودوريات وموسوعات علمية وتقنية إسلامية عامة ومتخصصة باللغة العربية وبغيرها من اللغات المحلية فى العالم الإسلامى.

(١٢) تشجيع عملية النشر العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى وتطوير كل ما يلزم ذلك من عمليات الطباعة والتوزيع، وما يعتمد عليه من صناعات.

(١٣) الاهتمام بإعداد ورعاية الفنيين والمعاونين فى شؤون البحث العلمى بقطاعاته المختلفة، فى مختلف بقاع العالم الإسلامى.

(١٤) التعاون فى تأسيس مراكز إسلامية لصناعة الأجهزة العلمية والتقنية المتخصصة وصيانتها وتطويرها فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى حسب إمكانات كل منطقة، فى شىء من التخطيط والتكامل.

(١٥) التعاون فى إنشاء مراكز للإعلام والتوثيق العلمى والتقنى والصناعى، ومصارف للمعلومات ولخدمات تجهيز البيانات، ومكتبات شاملة إقليمية وعامة، ودوريات متخصصة، ونشرات بمستخلصات البحوث، ومرافق لعقد اللقاءات والمؤتمرات العلمية فى مختلف أرجاء العالم الإسلامى يكون من مهامها تعريف الأجهزة العلمية والتقنية والصناعية المحلية بالتطورات والمنجزات العالمية، ونشر المعرفة، على أن يقوم التنسيق الدقيق بين المراكز المختلفة، وأن ينتهى ذلك فى هيئة مركزية واحدة للعالم الإسلامى تغذى المراكز الإقليمية وتتلقى عنها وتقوم بالتخطيط لمختلف أنشطتها.

(١٦) التعاون فى إنشاء مركز عام ومراكز إقليمية للملكية الصناعية ووثائق براءات الاختراع تقوم بتنسيق تشريعات الملكية الصناعية فى العالم الإسلامى، وحماية حقوق المخترعين المسلمين ، ودراسة الاتفاقيات الدولية بهذا الخصوص، وتبادل تلك الوثائق مع المراكز المشابهة فى العالم.

(١٧) العمل على تطوير تدريس العلوم فى مختلف المراحل ليساير التطورات العالمية من حيث المستوى والوسائل والكتب والطرائق والمختبرات وغيرها من وسائل الإيضاح مع التأكيد على ضرورة التأصيل الإسلامى لمصادر المعرفة كلها.

(١٨) المبادرة بالعمل الجاد لتوحيد الأمة الإسلامية على مراحل منطقية عملية، فلم يعد هناك مجال لمجموعة بشرية يقل تعدادها عن ٣٠٠ إلى ٤٠٠ مليون نسمة أن تعيش بغير تبعية اقتصادية للتكتلات الكبرى وما يتبع ذلك من رقى ثقافى وسياسى وعسكرىّ مذل.

ثانيا - الوسائل المعنوية :

(١) العمل على إحياء المفهوم الصحيح للبحث العلمى والتقنى فى الإسلام، وبلورة النظرية الإسلامية للعلوم والتقنية، ووضع التفاصيل الدقيقة للدستور الأخلاقى الذى يفرضه الإسلام فى هذين المجالين، وذلك لأن العلم لا يمكن أن يكون عملية مادية بحتة، خالية من القيم الروحية والأخلاقية، وإلا أصبح وبالاً على أهله وعلى الإنسانية جمعاء.

(٢) تعميق قيم البحث العلمى والتقنى فى نفوس المسلمين من الباحثين، والقائمين على الأجهزة الرسمية، وكافة الأفراد، ووضع الخطط اللازمة لتربية الجماهير المسلمة تربية علمية أصيلة تقوم على الإيمان بأن العلوم التجريبية هى قرآنية المنهج، وأن الأسلوب العلمى فى التفكير ودوره فى تطوير الحياة هو ضرورة إسلامية، ومن ثم فإنه يتوجب على المسلمين بذل كل ما يملكون فى سبيل نهضة الأمة الإسلامية علميًّا وتقنيًّا، مرضاة لله وإعذاراً إليه، وذلك لأن القيام بالبحوث العلمية والتقنية فى مختلف المجالات النافعة هو من فروض الكفاية التى تأثم الأمة كلها بتركها، وإهمالها أو التقصير فيها، وعليه فإنه يجب دعوة كل قادر إليها وتشجيعه عليها انطلاقًا من صميم الدعوة الإسلامية ذاتها.

(٣) إبراز إضافات المسلمين للعلوم فى مختلف العصور، وتحقيق تراثهم والعمل على نشره وتعليمه، ودراسة الشخصيات البارزة من علماء المسلمين قدامى ومعاصرين، لإعادة الثقة إلى نفوس شباب مسلمى اليوم ودفعهم إلى النهوض بمسؤولياتهم.

(٤) إحياء الشعور بالانتماء للأمة الواحدة بين المسلمين حتى يتهيؤوا

للوحدة الشاملة ويبدأوا بالعمل الجاد لها، ويقضوا على العصبيات الجاهلية المقيتة التى استخدمت فى تفتيتهم وتشتيت إمكاناتهم.

(٥) الدعوة إلى الالتزام الدقيق بالإسلام الصحيح على مستوى الأمة أفراداً ومجتمعات، والعمل على تطبيق قيمه وأهدافه حتى يتقلص تأثير عمليات التغريب التى تعرضت لها الأمة الإسلامية طوال القرنين الماضيين بصفة خاصة، وحتى تتمكن القاعدة المسلمة من تحقيق حلمها بالحكومة الإسلامية الراشدة، المنبثقة عن قناعة شعبية غالبة إن شاء الله.

(٦) دعوة الناس كافة إلى الإسلام وفى مقدمتهم العلماء والمفكرون وأصحاب الرأى فى الكتل العالمية الكبرى وهم الآن مهيَّؤون لتقبل الإسلام بعد أن سئموا الحياة المادية، وعاشوا ويلاتها، وأخذوا يتطلعون بحرص بالغ إلى ما يمكن أن يخلصهم مما هم فيه من بلاء، وبعد أن تبلورت المعطيات الكلية للعلوم فى تأكيد واضح على حقيقة الخلق، وحتمية الإيمان بالله، وضرورة الآخرة، وليس أدل على ذلك من ظاهرة المد الإسلامى المعاصر فى كافة أرجاء الأرض بين كبار العلماء والمثقفين، كما هى بين المظلومين والمستضعفين والمضطهدين من شعوب الأرض.

(٧) إبراز الاستنتاجات الكلية للعلوم خاصة ما يؤكد منها على حقيقة الخلق وابتدائه، وعظمة الكون ووحدة بنائه، وإبداع حركته واتساعه، وإعجاز ظواهره وسننه وقوانينه، وحتمية نهايته وفنائه، وإمكانية الوحى السماوى، بل ضرورته، وحقيقة الموت والبعث والحساب، ولزوم الآخرة بما فيها من ثواب وعقاب، وأغلبها قضايا غيبية استطاع العلم أن يصل إلى أدلة منطقية عليها، وقد سبقه فى ذلك وحى السماء.

(٨) إبراز الإشارات العلمية فى القرآن الكريم، وإثبات سبقها للعلوم البشرية بالمئات من السنين، وهى- على كثرتها، ودقة دلالاتها - وردت فى سياق الدعوة إلى الإيمان بالله والدلالة عليه، لا فى سياق عرض علمى مجرد، وذلك لأن القرآن الكريم هو فى الأصل كتاب هداية، وليس كتاب علم خاص، وعلى الرغم

من ذلك أصبحت هذه الإشارات العلمية سبباً فى إقبال الكثيرين من العلماء المعاصرين على الإسلام واقتناعهم به، لإيمانهم بأن هذه الحقائق العلمية – التى لم يتوصل الإنسان إليها إلا مؤخراً – لم تكن بالقطع متوفرة لبشر فى حياة سيدنا محمد ﷺ أو قبل بعثته الشريفة، ولا لمئات من السنين من بعده، وهى فى هذا الإطار دلالات واضحة على صدق دعوته، وحقيقة رسالته، وعلى تلقيها عن خالق الكون ومبدع الوجود الذى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾.

هذه عجالة لبعض وسائل التقدم العلمى والتقنى المأمول للعالم الإسلامى المعاصر، وهى وسائل إن سهل تسطيرها على الورق فإن إخراجها إلى حيز الوجود يحتاج إلى جهود كبيرة يدعمها الإيمان العميق، والتنظيم الدقيق، والعمل الدؤوب، والصبر على المكاره، والإيثار على النفس، والتضحية بالشهوات، وهو طريق شاق طويل ولكنه طريق الخلاص الوحيد فى عالم أصبح السبق العلمى والتقنى فيه هو معيار التقدم، وهو الوسيلة المادية لإسعاد البشرية أو إفنائها على حدٍّ سواء.

نسأل الله – تعالى – أن يقيض لهذه المقترحات الآذان الصاغية، والعقول الواعية، والقلوب المؤمنة، والسواعد العاملة، حتى تتحقق صحوة المسلمين، وقيادتهم العالم من جديد لسعادة الدنيا والآخرة وتتحقق بها نجاة العالم من الهاوية التى يتردى فيها اليوم، وما ذلك على الله بعزيز، والله الموفق والمستعان وهو الهادى إلى سواء السبيل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

ثبت بالمراجع

(١) أبو الحسن على الحسنى الندوى : « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » المركز العالمى للكتاب الإسلامى، ١٩٥٠، الطبعة الرابعة، ١ – ٣٠٣ .

(٢) أحمد فؤاد باشا : « فريضة العلم الغائبة فى العالم الإسلامى المعاصر »، مجلة الأزهر (٣)، ربيع الآخر ١٤١٥هـ/ سبتمبر ١٩٩٤م.

(٣) إسماعيل سرور شلش : « أجهزة تنظيم البحث العلمى فى الوطن العربى »، قضايا عربية (٥) مايو ١٩٨١م، ٣٦ – ٦٤ .

(٤) بهاء بن حسين عزى : « العالم إلى أين والعرب إلى أين »، الكتاب العربى السعودى (١٠٢)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م، ١ – ١٥٣ .

(٥) زغلول راغب محمد النجار : « مشكلة التخلف العلمى فى العالم الإسلامى المعاصر » : مجلة الأمة – قطر (٤١) جمادى الأول ١٤٠٤هـ (فبراير ١٩٨٤م)، ٣٣ – ٣٩ .

(٦) زغلول راغب محمد النجار : « قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر » : الاقتصاد الإسلامى – الإمارات العربية (٩٣) شعبان ١٤٠٩هـ (مارس ١٩٨٩م)، ١٠ – ١٧ .

(٧) زغلول راغب محمد النجار : « قضية التخلف العلمى والتقنى فى العالم الإسلامى المعاصر »؛ الطبعة الأولى، صفر ١٤٠٩هـ. كتاب الأمة (٢٠).

(٨) سمير عبده : « العرب والتكنولوجيا »، دار الآفاق الجديدة – بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

(٩) عبد الرزاق توفيق : « تخلفنا العربى العلمى والتقنى : أسبابه وعلاجه »، المجلة العربية (١٥٣)، رمضان ١٤١٠هـ (أبريل ١٩٩٠م)، ٤٨ – ٥٠ .

(١٠) عبد المنعم المشاط : « أصول ظاهرة التخلف فى العالم الإسلامى »، السياسة الدولية (٩٩)، يناير ١٩٩٠م، ٦٣ – ٧٧ .

(١١) على لطفى ومحمد رضا العدل : « التنمية الاقتصادية : دراسة تحليلية »، المطبعة الكمالية ١٩٨٦ – ١٩٨٧ مصر.

(١٢) عمر محمد التومى الشيبانى : « التعليم والاستلاب الحضارى »؛ قضايا عربية(١)، يناير ١٩٨٣م، ١٤١ – ١٦٩ .

(١٣) عمر عبيد حسنة : « نحو إعادة ترتيب العقل المسلم »؛ دار الإشراق – الدوحة، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ١ – ٣٣٤ .

(١٤) فايز إبراهيم الحبيب : « التنمية الاقتصادية بين النظرية وواقع الدول النامية »، الطبعة الأولى ١٤٠٥، الرياض.

(١٥) قاسم جميل قاسم : « نقل التكنولوجيا وعملية التنمية : وجهة نظر من الدول النامية »، المنظمة العربية للعلوم الإدارية، مطابع الدستور، ١٩٨٤، الأردن.

(١٦) محمد السيد الجليند، أحمد عبد العزيز كشك : « حاضر العالم الإسلامى : أسباب التخلف وعوامل النهوض » أعمال المؤتمر الدولى الثامن للفلسفة الإسلامية ١٨ – ١٩ صفر ١٤٢٤هـ/ ٢٠ – ٢١ أبريل ٢٠٠٣ .

(١٧) محمد عبد العليم مرسى : « معوقات البحث العلمى فى الوطن العربى »؛ رسالة الخليج العربى (١٣)، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ٣٧ – ٦٩ .

(١٨) محمد نبهان سويلم : « نقل التكنولوجيا بين الأحلام والواقع »؛ الفيصل (٣٣)، صفر ١٤٠٠ (يناير ١٩٨٠م)، ١٠٧ – ١١٠ .

(١٩) محمود البوجى (الترجمة) تأليف : جاك بوان : « نقل التكنولوجيا »، مطابع الدوحة الحديثة، قطر.

(٢٠) محمود محمد سفر : « التنمية قضية »؛ الكتاب العربى السعودى الرابع.

(٢١) مصطفى النشار : « العربية بين إنتاج العلم واستيراد الثقافة »، المستقبل العربى (٢٠٠) أكتوبر ١٩٩٥م، ١١٦ – ١٣٦ .

(٢٢) يوسف حلباوى وعيد خرابشة : « نحو مفهوم أفضل للتنمية الحديثة » ؛ الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ، مؤسسة الرسالة، بيروت .

(٢٣) الغرفة التجارية الصناعية بجدة : « نقل التقنية ومسايراتها لأهداف التنمية فى المملكة » ؛ بحث رقم (٩) جمادى الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢٤) الغرفة التجارية الصناعية بجدة : مركز البحوث : « دراسة عن موقف المملكة العربية السعودية من النظام الدولى لحقوق براءات الاختراع وتطبيقاته » ؛ بحث رقم (١٠) جمادى الأولى ١٤٠٥هـ .

(٢٥) نادية الشيشينى (الدكتورة) : « تنظيم وترشيد استيراد التكنولوجيا فى الدول النامية » ، مجلة التعاون الصناعى، العدد ٣٨ أكتوبر ١٩٨٩ .

(٢٦) مجلة آفاق اقتصادية : العدد ٤٢ أبريل (نيسان) ١٩٩٠م.

(٢٧) على أحمد على إبراهيم : « الدور الوطنى فى عملية نقل التكنولوجيا » ، مجلة تجارة الرياض : العدد ١٣٦٩ لسنة ٣٢ – ذو الحجة ١٤١٣هـ.

(٢٨) على أحمد على : « عقود وشروط نقل التكنولوجيا الدولية » ، مجلة تجارة الرياض : العدد ٣٧٤، السنة ٣٣ : ربيع ثانى وجمادى أولى ١٤١٤هـ.

(٢٩) مجلة عالم الاقتصاد : العدد ٢٣ ، السنة الثانية، ديسمبر ١٩٩٣، « البحث العلمى والتطور التكنولوجى وسباق التسلح » .